Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عمود الشعر القديم واستهلوا قصائدهم بمقدمات تقليدية كان أثر السجن معدوماً في مطلعها بصورة عامة، حتى أنه يمكننا القول إنّ هذا المطلع صالح لأي قصيدة أخرى مهما كان موضوعها، فلو أخذنا مثلاً فائية الفرزدق[1] التي تحدثنا عنها في عرضنا لشكل القصيدة، فإننا نجد أن مقدمتها الغزلية بلغت خمسة أبيات وليس فيها كلمة واحدة لها علاقة بالسجن، وكذلك «عبرة الدهر، لعدي بن زيد[2]»، بلغت مقدمتها سبعة أبيات تحدث فيها عن العارض والبرق والرعد والغيوم، ولا يشتمّ منها ما يدل على أن صاحبها يعاني أقسى أنواع العذاب في السجن.

وفائية بشر بن أبي خازم، مطلعها غزلي وعدتها ثلاثون بيتاً، حتى نهاية البيت الثاني والعشرين، غزل ووصف الناقة ووعورة الطريق، وهذا لا يدل أبداً على أن صاحبها أسير عند «أوس بن حارثة» ينتظر الموت.

إن تلك المطالع لا تلقى شيئاً من ظلال السجن، وقد فرضها الإطار المرسوم على عملية النظم، فأتى المطلع ضعيف الصلة بغرض القصيدة، بل مستقلاً عنه حتى أنه ليصلح لغيرها وفي غير غرضها.

وليس معنى ذلك أن شعراء السجون التزموا بهذا المبدأ وساروا على منواله، إذ أن هناك محاولات انعتاق من تلك القيود. فالفرزدق نفسه حاول أن يتحرك حركة حرة محدودة في قصيدته الميمية التي نظمها في سجن خالد بن عبد الله القسري، تلك القصيدة بلغت خمسة وعشرين بيتاً ومطلعها:

أهَاجَ لَكَ الشوقَ القديمَ خيالُه ... منازلُ بين المُنْتضى ومنيمِ
وقد حال دوني السجنُ حتى نسيتُها ... وأذهَلَني عن ذِكْرِ كلُّ حَميمِ
على أنني مِنْ ذِكْرِها كلَّ ليلةٍ ... كَذِي حُمَةٍ يَعْتَادُ داء سَليمِ
إذا قيلَ قَدْ ذَلَّتْ لهُ عنْ حياتِهِ ... تُراجِعُ منهُ خَابِلاتِ شَكيمِ[3]

(1) ديوان الفرزدق 2/ 7.

(2) موسوعة الشعر العربي 2/ 448.

(3) ديوان الفرزدق 2/ 285 ـ الحمة: السم. السليم: اللديغ. الخابلات: المهلكات. الشكيم: الأسد.